

تاريخ التمثيل

مقدمه

التمثيل ركن مهم من أركان الرقي والتقدم . لاغنى عنه لانه تريد الاخذ باسباب المدنية الحققة . فهو أكبر مذهب لاخلاق بنينا . وأعظم مقوم لالتواء ميولهم ونزغات نفوسهم . وقد عرفت قدره الشعوب الراقية فاحلته فيها المحل الارفع . واعتنت به حكوماتها ومدت الى القائمين به يد المساعدة المادية لينفقوا عن سعة في سبيل اعلاء شأنه ورفع مناره . فكانوا عند ظننا بهم فنهضوا بالفن نهضة سمت بالاخلاق ونزهتها عن كل شائبة . مستخلصة منها كل نزوة تسف بها وكل ميل يشينها .

ولما كان التمثيل عندنا لم يشب بعد عن الطوق لاننا لم نزل عالقة فيه على غيرنا فلا يمثل على مسارحنا غير القطع الافرنكية دون ان يكون لنا تمثيل شعبي رأينا أن نضع مؤلفا نبين فيه منشأ هذا الفن وتطوراته وأسباب تقدمه ورقيه من آن مولده الى يومنا هذا . مبتدئين بنشأته عند اليونان وانتقاله الى الرومان فالفرنسيين والاسبانيين والبرتغاليين والانجليز والالمان فنلخص كل المؤلفات التي وضعت فيه عنده هذه الشعوب . ونعلق عليها ونبدى ما عن لنا فيها . محللين نفسية كل مؤلف . فيتسنى لنا بذلك الاقتداء بمن تقدمنا محتذيين حذوهم في سيرهم فنسلك الطريق الممهّد متبعين الجدد آمنين العثار حتي نهض به ونبلغه عندنا المسكنة التي بلغ اليها في اوربا .

الملاهي

ان كلمة ملهى (١) كانت في الازمنة اليونانية الغابرة تطلق على مكان الحفلات التي كانت تقام لسيرس رب الحصاد ولبلاخوس اله الخمر . ثم سمت بها الابنية المشيدة لاستقبال مندوبي المدن القادمين لحضور مساجلات الشعر الموسيقى (٢) ولسماع التمثيل المشجى المضحك (٣)

ولم تزل الى وقتنا هذا تطلق على كل بناء تمثل فيه المناظر على اختلاف انواعها دون
تطلع الى شكله او كيفية بنائه .

وقد انشئت الملاحى فى بدء الامر للقيام بالحفلات الدينية . ولما كان المطر قليل
الغزارة فى المدن الشرقية ولاسيا اليونانية منها شيدت الملاحى فى العراء . وكانت مؤلفة
من مظلة من الاغصان وأوراق الاشجار تعلو مذبح الالهة المقام امام تجويف واد اوفى
مكان مستدير من سفح أكمة قد هذبته يد الانسان ومهدت نشازة . فاذا عدمت الامكنة
الطبيعية استعاض عنها بصقائل مدرجة تمكن الحضور وقوا كانوا أو جلوسا من مشاهدة
الكاهن وهو يقيم الصلاة دون أن يحجب بعضهم بعضاً . ولما تبسّطت هذه الحفلات
بما اضيف اليها من الرقص وفرق الهازجين والمغنين (١) ومساجلات الشعر الموسيقى وتمثيل
الحوادث المضحكة المبكية الحقيقية وغير ذلك من المواد التى أطالت مدتها وزادت فى
اهميتها تطلب هذا التبسط بجالات الممثلين أكثر اتساعاً فنشأ عن ذلك المسرح (٢)
واستلزم أيضاً إيجاد محال للحضار (٣) أكثر ملاءمة من المجالس المنقورة فى الصخور
واشد متانة من الصقائل الموقفة قولدت من ذلك القاعة (٤)

ولبثت القاعة والمسرح من الوجهة الهندسية مع ما تبعهما من الملحقات بتوالى الزمن
الجزئين الاساسيين للملاحى حتى يومنا هذا .

تشيد الملاحى

يغلب على ظن الباحثين ان اول ملهى متين شيد فى البلاد اليونانية هو ملهى ديونيزوس
(٥) الذى اقيم فى اثينا نحو سنة ٣٣٠ قبل المسيح وقد غطت معالمه سافيات الزمن حتى

choeur (١) La scène (٢)

(٣) ترجمنا كلبه Zipectate ur الفرنسية بكلمة حضار أو حضور ولم نشأ بجارة
البعض الذين ترجموها بكلمة نظارة . لانها تلتبس على معظم الناس فيخلطون بينها وبين
نظارة المعروفة . ولاندرى لماذا يجهدون انفسهم فى البحث عن كلمة غريبة وبين ايديهم كلمات
عدة تؤدى معناها الحقيقى . وهذه الكلمات كثيرة الشيوع وهى حضور ومتفرجون
وحاضرون وحضار .

La Salle (٤) Dionysos (٥)

كشفت عنها المهندس الألماني ستراك فأظهر كلياته وجزئياته سنة ١٨٦٢ . وتلاه ملهى هركيلانوم فقد بنى في مستهل القرن الأول المسيحي على النمط اليوناني البحت . ولم تشد ملاءه في العصور الوسطى لكنهم رمموا ما أبقت عليه الأيام من الملامى الرومانية

وفي القرن الثانى عشر عندما طفقوا يمثلون الروايات ذات المواضيع الدينية المسماة بالأسرار (١) وأنواع الدرام المدعوة المجون (٢) وضروب الهزل الساقط المسمى البهل (٣) كان جل اعتمادهم على الصقائل الموقفة المشيدة فى العراء أو فى الباحات الرحبة فيقيمون قبالتها مسرحاً لا رواء له ولا بهاء يقف عليه الممثلون . وقد يجلس فيه بعض من سراة القوم وعظمتهم ويلبث سائر الحضور وقوفاً أو جلوساً على الصقائل حتى انتهاء التمثيل

وفى سنة ١٥٨٠ شاد بلاديو فى فيسانس أول ملهى حجرى فاستنعى صيته وكثر الإقبال عليه . ولبث على حاله لم تؤثر فيه عواذى الدهر إلى الآن

كيف يجرى التمثيل

كانت الفواجع فى أواخر القرن السادس قبل المسيح تمثل فى ملاء منقورة فى سفوح الآكام . فكانوا ينجتون نجاس الحضار فى الصخور على شكل نصف دائرة . مدرجة قد تسع عشرين ألف متفرج . ويقيمون فى أسفلها فسحة مبلطة أو ممهدة يطلقون عليها اسم ساحة الرقص أو الاركسترا . فى منتهائها تجاه الحضور مسرح من الخشب لا رواء له تعهدته يد التحسين فأكسبته مع الزمن رونقاً وبهاء حتى أنه بلغ فى غضون القرن الخامس حداً يملأ العين بهجة وارتياحاً . فكان مقدمه فى عهد إيشيل محاطاً بجناحين لم يترك لنا التاريخ وصفاً يبيناً لهما . ومحلى بزخرف (٤) متحرك قد تعاون الرسام والنحات والنقاش فى تزويقه وتزيينه . فكان يتبدل منه ألواح خشبية مرصعة بأشكال هندسية بارزة . ورسوم جميلة تمثل تصاوير شتى أهمها تصويرة . قصر التى فضلت مع توالى الزمن على ما عداها من الصور

وكان تمت سطح سوى (٥) متحرك يجرى إذا دفع فيبرز خارج المسرح

(١) Mystères (٢) Sotties (٣) Farces (٤) Décor (٥) Piatte-forme

ليظهر ما يراد تبينه من داخل قصر أو معبد . غير انه لم يرشح الينا من أمره ما يعتمد عليه لا يوضح حقيقة .

وكان وراء الستار المنقوش آلات متنوعة يستعان بها لظهار الآلهة في سماء المسرح . ولتقليد لعلمة الرياح وزجرجة العواصف وقصف الرعود .

ولساحة الرقص منفذان . واحد الى يمين المتفرجين لدخول جوقة الهازجين والراقصين (١) . والآخرين الى يسارهم لخروجها .

وكانت هذه الفرقة تجول في الفسحة طبقاً لمقتضيات الفاجعة . فتارة تسير بصفوف مرصوفة . وطوراً تمشي تلو بعضها . ومرة تتجمع امام المسرح ساكنة هادئة . واخرى تدلف باقدام موزونة وتشد مصحوبة بتوقيع ناي . وترقص رقصاً ويبدأ رزناً مختلفاً اختلافاً كلياً عن رقص المضحكات الصخب .

هذه الفرقة هي العامل الاساسى في تكوين الفاجعة ومع أن أهميتها زادت بتعاقب الايام غير انها ساعدت في أول امرها أى في بادىء القرن الخامس مساعدة فعالة في ايجاد التأثير الفاجعى سواء كان برخامة اصواتها أو برشاقة حركاتها أو بروق ملابسها المتناسقة . وكان الممثلون يمشون عادة امام المسرح . وقد ظن البعض طويلاً انهم كانوا يقفون على منبر يشرف على ساحة الرقص لكن الابحاث الدقيقة التى أجريت حديثاً اظهرت فساد هذا الزعم لان بعد المدى بين الممثلين وجوقة الهازجين والراقصين . وفصل هذين عن بعضهما وهما يؤلفان وحدة تكاد تكون تامة يجعلان تمثيل الفاجعة قشداً من اشق الامور .

وما يزيد ما قدمناه تأكيداً ان الممثلين كانوا في اكثر الاحيان يدخلون من ساحة الرقص معتلين العريبات وصحبتهن الاشخاص الثانويون (٢) كما ان لفرقة الهازجين والراقصين ان تتقدم اذا اقتضى الامر حتى مدخل القصر . لكنه كان من المحتم على على الاولين ان يلبثوا اثناء الرواية مجتمعين على مقربة من الزخرف الداخلى بينما جوقة الهازجين والراقصين تقف في ساحة الرقص على مدى قريب منهم .

واذا كان الزخرف يمثل قصراً أو ضخراً أو معبداً يصعد اليه بدرج . كان يتسنى لبطل الرواية ولغيره من الممثلين ان يعتلوا نشراً يعرضهم بشكل أوضح .

لأنظار المتفرجين . غير ان هذا كان نادرا الحصول .

ولما كانت فروض العبادة عند اليونان تختم على القائمين بهاسدل الحجب على وجوههم سرت هذه العادة الى ممثلي المآسي المشتقة من الطقوس الدينية . فكانوا يقومون بالتمثيل وهم مقنعون . غير انهم كانوا يجدون صعوبات جمه في تأدية التأثير المطلوب لان الوجه وهو مرآة العواطف كان متواريا بسدل صفيق يحول بينهم وبين الاستعانة بأساريه على التعبير بدقة عن الشعور الذي تكنه أفئدتهم . فكانوا يعتمدون في تأدية ذلك على العينين واليدين ونبرات الصوت وحركات الجسم .

وقد أكد لنا المؤرخون أن الممثلين بهذه الوسائل المحدودة اجادوا اجادة نهضت بالفن فاهلى ارادته على المؤلفين الذين اضطروا في مسرى القرن الرابع الى وضع أدوار خصوصية لبعض الممثلين .

ولم تقتصر الصعوبات التي يلاقيها الممثلون على الحجب بل تعدتها الى الملابس التي كانت فضفاضة ضافية الاذيال واسعة الاردان تعيق كل حركة من حركاتهم . فقد كانت في عهد إيشيل أو قبله مؤلفة من طيلسان عريض مزخرف يتدلى الى الارض أشبه شيء بطيالة أفسة الاله باخوس . فيكسب لابسها مهابة كهنوتية .

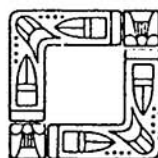
وكان الممثلون يتهادون بهذه الملابس متعلين أحذية عالية . فيبدوون بقاماتهم غير العادية كأنهم عمالقة . ولذا كان بطل الرواية تستشفه العين لاول وهلة دون ان يحتاج الحضور الى الاستدلال عليه من سياق الحديث . لان الاشخاص الثانويين كانوا يرتدون ملابس عادية تميزهم عن الملوك والمندوبين وأنصاف الآلهة .

وقد كانت هذه المظاهر الخلابه تزيد في أهمية الادوار وتكسب الفواجع سيماء الفخامة والجلال .

أصل الدرام المفجعة ونظامها

كان اليونان في كثير من عباداتهم يقومون بتمثيل الأساطير المختصة بالالهة التي يحتفلون بها فكانوا يجتهدون بتمثيل فعالها وآلامها بقدر ما أوتوا من مقدرة وعلم . فنشأ من ذلك الدرام التي برزت إلى عالم الوجود في القرن السادس قبل المسيح .

لأن الخرافة الدينية المتبعة في عبادة الاله باخوس كانت تعبر في جوهرها عن الحوادث المتعاقبة في زراعة الكرم ونموه . وكانت تارة فرحة وأخرى ترحه شأن كل أسطورة لها مساس بحوادث الطبيعة . ففى أوان قطف العنب كانوا يقومون بأفراح صخابة يردفونها في الربيع بأعياد لا تقل عنها جلبة وضجيجاً . فاذا نقلنا هذه الحوادث إلى لغة الأساطير كان منها تاريخ لاله يتألم حيناً ويهيج أحياناً . تتجلى في طقوس عبادته العواطف المتباينة والأهواء المتضاربة التى تظهر في الأعياد التقليدية بمظاهر الفرح الصخابة . فيعلو ضجيج المحتفلين وترتفع قهقهاتهم ويتواصل مجونهم ويخرجون عن حد الرزانة فى الزى والتعبير . فتولدت من ذلك المضحكات . ثم تظهر تلك العواطف بمظاهر آخر متنافرة متباينة فتتجلى بنواح وعويل وتوجع وتفجع وأنشيد محزنة . تبدو من خلالها صورة مبهمة للقضاء والقدر المسيرين بتقلباتهما المؤلمة بقوات علوية غير منظورة . ومن هذا ستخرج التراجيدى (١) ولم تقتصر عبادة الاله باخوس على تقديم العواطف للDRAM (٢) بل أوجدت لها أيضاً المبادئ الأساسية المكونة لأصولها بتقويتها الميل الفطرى لتقليد الأخلاق والعادات (يتبع) جورجى نيقولاوس



-
- (١) قطعة تمثيلية تبدى حادثة خطيرة وقعت بين أناس ذوى مكانة وشهرة عالمية وتدخل فى القلب الذعر والرعب أو الرأفة والحنان
- (٢) قطعة تمثيلية يتميز ج فيها المضحك بالمشجى